

# بريطانيا العظمى

للاستاذ أبو الفتوح عطفة

عتاب :

أخذ على بعض الأصدقاء من القراء الكرام إننى فى هذا الوقت الذى تقف فيه بريطانيا ضد أمانيتنا القومية وحرماننا قد امتدحت الخلق البريطانى؛ بل إننى أفضت فى الثناء على البريطانيين وكان العكس أوجب . وقد سرتنى عتابهم هذا ولكنى وجهت إليهم السؤال التالى : « أتمتعون أن البريطانى غير مخلص لوطنه ؟ وهل تشكون فى تضحيات البريطانى من أجل وطنه ؟ فكان الجواب بالنفى . قلت « إن بريطانيا عظيمة لأن أبنائها مخلصون لها . » وإذا أردنا نحن أن نهود فى أوطاننا وأن نتردد ماضى مجدنا فملينا أن نتوى عزامتنا وأن نوحده سفوفنا وأن نقبل على التضحية كما كان يفعل أبائنا وأجدادنا

وأمر آخر أحب أن ألفت النظر إليه، وهو أنه ليس من الخير لنا أن نتفاضى عن عيوبنا، وأن نتجاهل أسباب قوة أعدائنا، فيكون مثانا كمثل النمامة التى نخفى رأسها وقت الخطر وتمتد أنها بهذا قد أصبحت آمنة

وأمر ثالث أحب أن أذكره؛ وهو أن هذه المقالات تتسم بسمه البحث العلمى، والبحث العلمى يجب أن يكون بعيدا عن

من الاسم بنحو خيم القوم : ضربوا خيامهم . كذلك وزن « استعمل » الدالة فيه الزيادة على الطلب ، فإنه يستعمل أيضا لوجدان الفعل . نحو استمظم الأمر : وجده عظيما . وللتحول، نحو استعجز، وللتكلف ، نحو استعجرا . وللمطاوعة ، نحو أراحه فاستراح ، وأخيرا يرجع إلى الحوى المجرد عينه كأنه لم تكن زيادة . نحو استقر بمعنى قر ، وفس على ذلك بقية الزيدات ، تلك التى ندعى قياسية بتخصيص دور الحرف المضاف إليها

البقية فى العدد القادم      الأوب مرممى الرومبىكى

الأهواء الوطنية والمواطف السياسية، ومن ثم فأرى لزاما على أن أعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله؛ وإذن فيجب على أن أمتدح البريطانيين حين يستحقون المدح، وأن أهاجمهم أشد الهجوم حين يستحقون ذلك . ولا يستطيع إنسان كائنا من كان أن يبرر عدوان بريطانيا علينا واحتلالها لأراضينا وعملها على فصل جنوب الوادى عن شماله، وتشريدنا لرب فلسطين بمؤازرتها لليهود، ولكنى أحب أن أقول لقومى :

السيف أسدق أبناء من الكتب      فى حده الحد بين الجد والمب  
وأنا أعد حضرات القراء بأننى قبل أن أختتم مقالنى عن بريطانيا سأعقد فصلا خاصا عن علاقتنا بها وكيف يجب أن تقوم

## مشكلات

ولعل حضرات القراء يوافقونى على أننا متغلفون عن ركب الحضارة قرنا كاملا، وأنا فى عصرنا الحاضر نواجه مشكلات واجهتها الأمم الأوربية فى القرن التاسع عشر وتغلبت عليها . ولعل من الخير لنا أن نعرف كيف تغلبت أوروبا على هذه المشكلات حتى ننتفع بتجاربها ونستفيد منها

تنقسم المشكلات التى نواجهها إلى قسمين : ١ : مشكلات سياسية وقومية وأهمها الوحدة والجلاد، وسأتناولها بالبحث حين أتحدث عن ألمانيا وإيطاليا

٢ : مشكلات اقتصادية واجتماعية وهى ناشئة عن دخول مصر فى الدور الصناعى ، وسأتناول فيما يلى البحث فى الانقلاب الصناعى فى إنجلترا والمشاكل التى قامت بحبه وكيف عالجتها وتعالجها إنجلترا

## الانقلاب الصناعى :

يقول أحد المؤرخين « إن الناس قد ظلوا حتى أواخر القرن الثامن عشر يفلحون أرضهم وينسجون ملابسهم وينشرون أخشابهم ويصنمون قواربهم كما كان يفعل قدماء المصريين . » وهذا القول صحيح من غير شك؛ ولكن الجزء الأخير من القرن الثامن عشر قد شاهد انقلابين خطيرين وخطرين جدا، وهما فى الواقع أساس الحضارة الحديثة

أما الانقلاب الأول فهو الثورة الفرنسية ، فهذه الثورة هدمت الأنظمة السياسية والاجتماعية التي كانت قائمة في ذلك الوقت ، وأقرت الحرية والإخاء والمساواة في الحقوق والواجبات للناس جميعا ، وكذلك أقرت مبدأ سيادة الشعوب إذ قررت أن الأمة مصدر السلطات . وهكذا بدأ قيام الديمقراطية الحديثة

أما الانقلاب الثاني فهو الانقلاب الصناعي ، وهذا الانقلاب ليس أقل تأثيرا في حياتنا الماصرة من الانقلاب الأول ، بل ربما كان أعظم منه أثرا وأشد خطرا . ذلك أنه في الوقت الذي كان رجال الجمعية الوطنية في فرنسا يثيرون اهتمام الناس بخطبهم وعبادتهم الجديدة ، وفي الوقت الذي كان نابليون يشغل أذهان الأمم والدول بحروبه ومشاركه ، كان هناك رجال يوجهون اهتمامهم إلى الرأه التي تدبر المنزل في منزلها ، وإلى النسيج الذي يحرك نوله في بطنه ، وإلى عمال الناجم وهم يكافحون المياه التي توشك أن تغير مناجمهم ، وقد ظل هؤلاء الأبطال في جهادهم حتى امتدوا إلى اختراعات غيرت أساليب الصناعة وبالتالي غيرت مجرى حياة الإنسان . وقد كان أهم هذه الاختراعات من غير شك استخدام البخار في إدارة الآلات وفي تسيير القطارات والسفن البخارية

وقد كان من أهم نتائج هذه المخترعات انتقال الصناعة من المنزل إلى المصنع ، وانتقال المصانع إلى المواطن التي يكثر فيها الفحم والحديد ، فإن من الحديد تصنع الآلات ، وبالفحم تدير هذه الآلات

وفيما يلي أهم نتائج الانقلاب الصناعي :

١ : نحو مدن مزدحمة بالمكان : ذلك أن الصناعة وقد انتقلت من المنزل إلى المصنع تركزت في مناطق الفحم مما أدى إلى هجرة كثيرين من العمال الزراعيين إلى المراكز الصناعية ، وقد أقرتهم زيادة الأجور نسبيا في المصنع عنها في المزارع

٢ : أدى هذا إلى نقص كبير في الأيدي الزراعية العاملة ، وقد حلت هذه المشكلة باستخدام الآلات الزراعية الحديثة

٣ : سوء حالة العمال في المناطق الصناعية بسبب قلة أجورهم وسوء مساكنهم وانتشار البطالة بينهم وإرهاقهم بالعمل

٤ : ظهور طبقات رأسمالية كان يملك أرباحها المصانع والآلات ، وقد عمد هؤلاء الرأسماليون إلى استغلال العمال في تنمية أموالهم وزيادة أرباحهم ، ولم يلبث هؤلاء طويلا حتى نافسوا كبار المزارع والتجار في ميدان الحياة السياسية والاجتماعية

٥ : زيادة الإنتاج مما أدى بدوره إلى نشاط التجارة ، فثلا كانت تباع منحوجات منشتر في ملبورن وفي الصين وفي غيرها

٦ : تحسن طرق المواصلات والنقل

٧ : تسابق الدول إلى الاستثمار لتضمن موارد المواد الخام والأسواق

والأسواق

٨ : ظهور نهضة فكرية رائدة ، وزيادة الاتصال بين أنحاء العالم ، وظهور آراء اقتصادية حديثة أهمها مبدأ حرية التجارة

الذي نادى به آدم سميث في كتابه « ثروة الأمم »

٩ : وجدير بي أن أذكر أن إنجلترا كانت أسبق الأمم إلى

الانقلاب الصناعي لأسباب : أهمها زوال النظام الإقطاعي منها قبل غيرها ، وثانيا لأنها استطاعت في أثناء عصر الثورة الفرنسية ونابليون أن تسيطر على أسواق العالم التجارية ، ولذلك عملت جاهدة بعد انتهاء هذا العصر على الاحتفاظ بسيطرتها التجارية على هذه الأسواق

١٠ : ازدياد عدد السكان في إنجلترا زيادة خطيرة

الاشتراكية :

على أن أخطر نتائج الانقلاب الصناعي كان ظهور الاشتراكية ، فقد قامى العمال أحوالا كثيرة بسبب قلة أجورهم وازدحامهم في المراكز الصناعية وسكنهم في مساكن غير صحية واضطراهم إلى العمل ساعات طويلة مضنية داخل المصانع ، مما دفع كثيرا من المفكرين إلى العمل على وضع حد لإرهاق العمال وتحسين حالتهم وقد نبقت الفكرة الاشتراكية في رأس بعض رجال الثورة الفرنسية ، وأنا أحب أن أنقل هنا ما قاله أحد رجالها واسمه باييف Babouat فقد ذهب إلى أن الطبقات الفقيرة لا يهملها أى تمييز بقدر ما يهملها أن توفر لها أسباب الحياة الكريمة حيث

٢ : كان المهال حينئذ محرومين من حق الانتخاب، وقد تنبأ ماركس بأن المهال سيتألون حقوقهم الانتخابية وسيصبحون نواباً، وحينئذ يصبح في مكنهم إصدار التشريعات اللازمة لمصالحهم، وأهمها أن تضم الدولة بدعاً على موارد الثروة ووسائل الإنتاج مثل المناجم والمصانع ووسائل العمل والأراضي الزراعية، وتستغله لمصلحة الشعب وهو ما يعرف الآن بالتأميم . وجدير بنا أن نلاحظ أن حكومة المهال تعمل على تحقيق ذلك في بريطانيا

٣ : عدم وجود فوارق اقتصادية بين الطبقات، وقد تسأل ماركس « لم يدخل الحياة طفلان أحدهما له امتياز على الآخر ؟ أحدهما يملك المزرع والضياح والمصانع، والآخر لا يملك سوى تقيير ؟ »

٤ : استنكر ماركس أن يعيش بعض الأفراد عالة على الشعب، وقرر أن جميع الأفراد يجب أن يؤديوا عملاً للدولة، وألا يكونوا عالة على المجتمع

٥ : يجب أن تسيطر الأمة على رهوس الأموال

٦ : يجب أن يكون التعليم بالجان لجميع أبناء الدولة وقد انتشرت هذه المبادئ في أنحاء أوروبا وكان لها أثر كبير في الحياة الأوربية المعاصرة . فقد آمنت بها إنجلترا فتال المهال حق الانتخاب، ثم أصبح منهم النواب وتولوا حكم بريطانيا . ومن غير شك تعمل حكومة المهال على تحسين حالة المهال وعلى تقليل الفوارق بين الطبقات، فتراها تفرض الضرائب التصاعدية التي قد تصل إلى ٩٥٪ من دخل بعض الأفراد، وتراها تعم نظام التأمين الصحي والاجتماعي، وتيسر التعليم لجميع أبناء الشعب، وتعمل على تأميم موارد الثروة والإنتاج، ولا عجب فإن حزب المهال يؤمن بأن « الفرض الحق من المجتمع هو أن يرفع ويحفظ كرامة ورفاهية الفرد » وبأن من حق المهال على الدولة أن يمشوا كراماً

أبو الفتح عطينة

مدرس أول العلوم الاجتماعية  
بمدرسة الظنونة

قال : « عندما أنظر إلى الفقراء فأجد محرومين من الكساء والأحذية التي يقومون بصنعها، وعندما ما أنظر إلى تلك الفئة القليلة العدد التي لا تعمل، ومع هذا فهي ليست في حاجة إلى شيء لأن كل شيء ميسر، أومن أن الحكومة إن هي إلا مؤامرة قديمة قامت بها الأقلية ضد الأغلبية . »

واقترح أن تستولى الحكومة على الأراضي وموارد الثروة، وأن تعمل على استقلالها لمصلحة الشعب وطبقاته جميعاً ورغم إعدام باييف فقد ظلت مبادئه حية في أذهان الفرنسيين للدرجة أن بعض أتباعه نادوا بها من جديد عند قيام ثورة برلية ١٨٣٠ في فرنسا . وقد أذيت هذه المبادئ في إعلانات طبعت ١٨٣٢ جاء فيها :

« إننا لا نريد انقلاباً سياسياً وإنما نريد انقلاباً اجتماعياً . إن التوسع في الحقوق السياسية وفي الحقوق الانتخابية وفي إقامة حق الاقتراح كلها أشياء جميلة ؛ ولكن غابتنا الرئيسية أن يكون هناك توزيع عادل للأعباء، الدولة ولما يجنيه أبنائها من فوائد . إننا نبغي إقامة حكم تبادلي يكفل تحقيق المساواة لجميع أبناء الدولة . »

وقد كان من أبرز زعماء الاشتراكية في النصف الأول من القرن التاسع عشر روبرت أوبن الأنجليزى ولوى بلان الفرنسى؛ ولكن « كارل ماركس » الألمانى يعتبر واضع الاشتراكية الحديثة ولد كارل ماركس ١٨١٨ وتربى في جاك-تي يون وبرلين، ولكنه نفي من وطنه بروسيا (ألمانيا) بسبب آرائه الحرة، وفي متفاه وضع كتابه « رأس المال » The Capitale وأهم الآراء التي جاءت فيه :

١ : إن طبقات الأمة المحظوظة هي التي قبضت على الحكم في الماضي، وإن طبقة الممولين والرأسماليين من أصحاب المصانع هي الطبقة المحظوظة الحديثة، أما المهال فهم ضحايا الرأسماليين . وتنبأ ماركس بأن طبقة المهال سيقوى نفوذها حتى تصبح الطبقة الحاكمة، وعندئذ تقوم الدولة الاشتراكية . ( لاحظ أن رئيس وزراء بريطانيا الآن هو زعيم حزب المهال )